الدّلالة الصّوتية في ديوان مآسي وأين الآسي لأبي الحسن علي بن صالح الجزائري 906 – 988. مـــ

Sound significance in the collection (Tragedies and where isAci?) of Abu Hassan Ali ben Salah Aljazairi 1906-1988

الدكتور يوسف بن نافلـــة
جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف

الملخص :
تتناول هذه الدراسة الحديث عن مفهوم الدلالة في اللّغة ، ثم في الاصطلاح بعدها التعريف بالدلالة الصوتية وميدانها، وحقيقتها عند أهل الاختصاص، ثم أقدم ترجمة موجزة للشاعر الجزائري أبي الحسن علي بن صالح الغرداوي ، ثم أشرع في تحديد الدلالة الصوتية في ديوان الشاعر الموسوم بـ مآسي وأين الآسي) وهنا تناولت جملة من الظواهر الصوتية في شعر أبي الحسن مع تحديد الدلالة التي كان يرمي إليها الشاعر من ذلك الانسجام الصوتي ، والإيقاع ، والتلاوة، والجرس الموسيقي ، والإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي ،ثم المقاطع الصوتية ، والمماثلة الصوتية،والنّبر ، والتنغيم، والترصيع .

الكلمات المفتاحية : الدلال - الصوت - الإيقاع - المماثل - الانسجا - النب .

Summary :
This study deals with the modern concept of significance in the language, and then in the terminology beyond definition sound give indications and their respective fields, and what they are when the people of jurisdiction, then the oldest brief translation of the poet Algerian Abu Hassan Ali Bin Saleh Algrdaoa, and then proceed to determine Aldalalhalsotah in the office of the poet is marked by (tragedies and where Asi?) and here it dealt with a number of acoustic phenomena in the poetry of Abu al-Hasan with determining significance that was intended to poet of the acoustic harmony, rhythm, recitation, music, bell, and the rhythm of internal and external both types, and audio clips, and Almmathlhalsotah, and stress, and toning, and studding.

Words Key: Signification – Voice – Coherence – Tythm – Assimilation – Intonation.

المقدمة :

يزخر التراث الجزائري بعلماء أجلاء تركوا بصماتهم في الساحة العلمية ،والأدبية ،فهم بحقّ نجوم القمّة ، وأعلام الأمة الخالدة بخلود رجالها ،وعلمائها الأجلاء ، ومن الشعراء الجزائرين الذين خلدوا أسمائهم في التاريخ الناظم أبو الحسن علي بن صالح الغرداوي الجزائري فارتأيت أن أتناول الصوت ، ودلالته ،ووظيفته في ديوانه مآسي وأين الآسي . أما الإشكال الذي أرغب في طرحه فيتمثل في الآتي :

فيم تكمن الدلالة الصوتية في الشعر الجزائري؟ وما هي أهم الظواهر الصوتية التي كان الشاعر يرمي إليها من خلال ديوانه مآسي وأين الآسي؟) وماهي أهم المعاني التي كان الشاعر يقصدها من خلال شعره الرصين؟

مفهوم الدلالة :

- في اللغة :

جاء في معجم لسان العرب مادة دلل : الدالة ماتدل به على حميمك ،والدليل مايستدلّ به وقد دلّه على الطريق يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلولة ،والدليل ،والدليلى الذي يدلّك ،والجمع أدلّة وأدلاّء ،والاسم الدِّلاة والدَّلالة بالكسر والفتح ،والدّلولة ،والدليلي ثم يستدل بقول سيبويه ت 80 هـ والدليلي علمه بالدلالة ،ورسوخه فيها ودللت بهذا الطريق عرفته ودللت به أدلّ دلالة ، وأدللت بالطريق إدلالا،والدليلة المحجة البيضاء ،وقوله تعالى ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلا .

والدلال الذي يجمع البيعين ،والاسم الدّلالة ،والدّلالة ،والدِّلالة ماجعلته للدليل أو الدّلال . .

وأدللت بالألف لغة والمصدر دلولة والاسم الدلالة بكسر الدال وفتحها وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ،واسم الفاعل دال ودليل وهو المرشد والكاشف ،ودلت المرأة دلالا،ودلا من بابي تعب وضرب وتدللت تدللا والاسم الدلال .

ب - في الاصطلاح :

يرى العلامة التهانوي ت158 هـ) في الكشاف :(الدلالة بالفتح هي على مااصطلح عليه أهل الميزان ،والأصول ، والعربية ، والمناظرة ، أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ،والشيء الأول يسمى دالا ،والشيء الآخر يسمى مدلولا

ويرى محمود عكاشة أنّ علم الدلالة سيمونتيك) هو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير ،ويهتم بمسائل الدلالة وقضاياها ، ويدخل فيه كل رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغويا أو غير لغوي .

ويعد علم الدلالة أهم فرع من فروع علم اللغة ،وأنّ اللغة موضوع علم اللغة وضعت للتعبير أو للدلالة) عما في نفس متكلمها ، وكل الجوانب اللغوية الأخرى هدفها تبيين المعنى على نسق واضح سهل الفهم ،وجميع فروع اللغة تشارك في الدلالة ولا يمكن الفصل بينها وبين علم اللغة ،وكل فرع منها يساهم بدوره في الدلالة في إطار مجاله .[iv]

وهو العلم الذي يتناول المعنى بالشرح والتفسير ،ويركز على مسائل الدلالة ،وقضاياها ،ويتعلق ذلك بكلّ رمز يؤدي معنى سواء أكان الرمز لغويا ،أو غير لغوي مثل الحركات ،والإشارات ،والهيئات ،والصور ،والألوان ،والأصوات غير اللغوية ،وغير ذلك من الرموز التي لها دلالة تؤديها عن طريق التواصل الاجتماعي .

الـــــدّلالة الصّـــــوتية :

يدرس علم الأصوات اللغة المنطوقة ،وهو فرع من علم اللغة ، وينفرد عن غيره من الفروع بأنه يهتم بشطرها المنطوق أو الملفوظ فقط،كما أنه يهتم بأدق وأصغر الوحدات الدلالية في اللغة ،والأصوات أصل طبيعة اللغة ،أما الكتابة فهي لاحقة عليها ،ورمز الصوت .

وتقسم أصوات اللغة إلى ضربين هما الصوامت ،والصوائت ،الصوامت الأصوات التي تتعلق بمخرج معين يعترض الهاء الصادر من الحنجرة حين إصدار الصوت المراد اختياره ،وهذا النوع يشكل معظم أصوات العربية .

والأصوات الصائتة هي التي لا يعترضها عضو من أعضاء النطق ،أو لا تنطق بمخرج صوتي يثني النفس الهواء الصادر من الحنجرة) عن امتداده فيكون الصوت أثناء نطقها ممتدا حرا لايعوقه حتى ينفذ،ويمثل هذا النوع أصوات المد أو اللين أو العلة الألف ،الواو ،الياء حال سكون الواو ،والياء ،والحركات القصيرة تعتبر أبعاض هذه الأصوات أو جزء منها ،لكنها لاتبلغ مقدارها من ناحية الطول ، وكمّ الهواء المندفع ،وهذان النوعان الصامت ،والصائت يشاركان في الدلالة أكثر من الحركات القصيرة ،

وتتحقق الدلالة الصوتية في مجال تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة ،وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة ،والتي يرمز إليها بالحروف : د ر ب ـ ..... ،ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي .[v]

وتتحقق هذه الدلالة أيضا من مجموع تأليف كلمات الجملة ،وطريقة أدائها الصوتي ،ومظاهر هذا الأداء ،وتعرف باسم العناصر الصوتية الثانوية ،وتعتبر هذه العناصر أكثر إسهاما في مجال الدلالة من العناصر الصوتية التي تتعلق بالكلمة المفردة ويطلق العلماء على الأصوات الصامتة ،والأصوات الصائتة المقطع الأولي ،أو الصوت التركيبي ،وهو أصغر وحدة صوتية ، ويشمل السواكن والعلل .

التعريف بالشاعر أبي الحسن علي بن صالح الجزائري :

هو أبو الحسن علي بن صالح بن عمر بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن مرزوق من مواليد 324. هـــالموافق ل906. مـــ بمدينة القرارة ،ولاية غرداية ،ترعرع في أحضان عائلة محافظة على العادات ،والتقاليد ،والدين الحنيف تتلمذ على يد علماء أجلاء أمثال الشيخ محمد بن الحاج الطرابلسي،ثم أتم حفظ القرآن الكريم وهو لا يتجاوز سنّ الثانية عشر من عمره . التحق بالبعثة الميزابية العلمية إلى تونس وهو ابن الحادية عشر ،ثم قاطع دراسته لظروف اجتماعية ،وعاد إلى بلاده سنة 923. مـــ فواضب على حلقات العلم .

ولما تأسست في بسكرة أول مدرسة عربية حرّة سنة 928م كان بها مديرا ،ومعلما ،وقد لاحقته السلطات الاستعمارية الفرنسية بإلحاح لما رأت فيه من جرأة في خدمة الدين ،واللغة ،والوطن ،وكان ذلك سببا في عدم استقراره ،وفي سنة 931م انتقل الشاعر إلى مسقط رأسه بمدينة القرارة .

وقد برز الشاعر أبو الحسن علي بن صالح على الساحة الأدبية ضمن جماعة من من الشعراء في عصره ،وعلى رأسهم شاعر الثورة مفدي زكرياء ابن منطقة وادي ميزاب ،ومحمد العيد آل خليفة ،ورمضان حمود ،وغيرهم .

عُرف الشاعر بحبه للوطن حتى النخاع ،ودفاعه المستميت عنه رافضا لكل ظلم ،واستبداد متأثرا بأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وقد لقي من الاحتلال الفرنسي الغاشم مرارة الحياة ،وضنك العيش مثل غيره من دعاة الحق ،وأعلام الإصلاح في الجزائر ،وقد لاحقه الاحتلال بإلحاح بسبب جرأته ،إيمانه بالحق ،وحبه الشديد لوطنه ،وعدم خوفه في الله لومة لائم ،وإخلاصه في خدمة الدين ،واللغة ،والوطن المفدّى .

انضمّ الشاعر إلى الثورة المباركة ،وعزم على محاربة العدو المحتل باللّسان ،إلى جانب القلم واللسان فاعتقل في الأربعينيات ،ولم يطلق سراحه إلاّ قبيل اندلاع الثورة التحريرية المجيدة سنة 954م،ولما تكونت الولاية السادسة كان من الأوائل الذين التحقوا بجبل بوكحيل " الذي دوّخ فرنسا قرب ولاية بوسعادة ،وله في العمل الثوري مواقف مشرّفة ،وكان مترله من الأماكن التي يتردّد عليها المجاهدون ،وقد تعرض لعنت شديد ،حيث ألقي القبض على ولديه بكير ،ومحمد ولم يجتمع شمل العائلة إلاّ بعد الاستقلال .

انتقل بعد الاستقلال إلى الجزائر العاصمة ،وعُيّن أستاذا في التعليم الرسمي بإكمالية القبّة بالعاصمة .

توفي رحمه الله يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من محرم 409 هـ الموافق للسادس من سبتمبر 988م بمنطقة غرداية .

خلف الشاعر آثارا مختلفة منها ماهو مطبوع ،ومنها ماهو كخطوط وهي على النحو الآتي :

- ديوان أبي الحسن علي بن صالح ،طبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 984م،ضمن سلسلة شعراء الجزائر ،يحتوي على تسع ومائتي صفحة (9(ص .
- ديوان مآسي وأين الآسي طبع بالمؤسسة الوطنية للكتاب سنة 988م،في ست وثلاثين وماتة صفحة (6{ ص من الحجم الصغير شكل كتيب)
- ديوان شاعر ثائ توفي قبل أن يتم طبعه .
- مجموعة كبيرة من القصائد المخطوطة .
- مذكراته ،ورسائل هامـــــة مخطوطة .[vi]

الدلالة الصّوتية في ديوان الشاعر أبي الحسن علي بن صالح :

المراد بالصّوت في عرف أهل الاختصاص آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف ،ولن تكون حركات اللسان لفظا ،ولا كلاما موزونا إلاّ بظهوره[vii]

وحدّ الصّوت اللغوي هو الصّوت الصادر من جهاز النطق الإنساني،وينشأ من ذبذبات مصدرها في الغالب الحنجرة لدى الإنسان ،فعند اندفاع التفس من الرئتين يمرّ بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الفم أو الأنف ،تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن .[viii]

وتنقسم الأصوات في اتفاق اللغويين إلى أصوات صامتة CONSONANTS وتعرف عند العلماء بالحروف ، وأصوات صائتة OWELS/ ويسميها القدماء الحركات .

أمّا مايتعلق بموضوع العلاقة بين الصوت و الدّلالة ،أو ما يعرف بالدلالة الصوتية ، فقد كان محل اهتمام كثير من العلماء و الباحثين ،وخاصة ما يتعلق بم يعرف بالتطريز الصوتي كالنّبر ،والتنغيم ،،والوقفات ،أو السكنات ، أو الفواصل ،ودرجة الصوت وصفته، وقوته، وانطلاقا من كل ذلك حوالت تتبع الصوت و دلالته في الخطاب الشعري الجزائري عند الشاعر أبي الحسن علي بن صالح من خلال ديوان مآسي وأين الآسي

فمن الظواهر الصوتية الدلالية التي وردت في الديوان نجد :

. - الانسجام الصوتي : كقول :

إنّماالدّنيا وإن ما ست فأغرتنا مآسي
لم أجد في صيدليا ت الدوا مرهمَ آسي
أين آسٍ عبقريٌّ بارغٌ يمحو المآسي؟
صدمتنا رغم تنقي بٍ جرى صخرة ياس[ix]

فنلاحظ أنّ الشاعر قد استطاع تحقيق الانسجام الصوتي الرائع بين الكلمات وخاصة في اختياره لحرف السين وهو حرف مهموس في الكلمات مآسي ،وآسي ،والمآسي ،ويأس ،وبأس . وذلك للدلالة على الحالة النفسية للشاعر انطلاقا من حديثه عن حقيقة الدنيا وتكالب الناس عل ملذّاتها ،ونجد الانسجام الصوتي أيضا في حديثه عن مأساة سقوط غرناطة ' وذلك حين قال :

أرى الجزيرة عقدا غاليا قطعت أطرافه ،وعتت في الحكم أشراف .
فصال صولة آساد الشرى وبدت معارك الحرب والأهوال أصناف
قف واعتبر ،واتّعظ حيال أندلس تر الأعادي حول الدور قد طافوا
فقتّلوا صبية بل مزّقوا مهجا وأحرقوا ،مثّلوا،والله ماخافو

فنلاحظ أنّ الشاعر قد استطاع أن يحدث انسجاما صوتيا جميلا ،ونغما عذبا وخاصة في أشراف ،وأصناف ،وآساد ،ومعارك ... كلّ ذلك للدلالة على الحالة النفسية الممزّقة التي يعيشها الشاعر حين وصف نكبة ،ومأساة سقوط الأندلس .

ونجد هذا الانسحام متوفرا بكثرة في ديوان الشاعر

! - الإتباع : وهو أن تحرك ماقبل الحرف الأخير إذا كان ساكنا حركة الحرف الأخير في الرفع والجر نحو هذا بكر ومررت ببكر "[x]

وقد ورد ذلك في قوله :

ألم يك فيك يارمضان بدر بها عزّ الهدى والشرك ذا ![xi]
وقوله هكذا الدّهر يُسقط التيجانا ويُذل الأمير والسلطانا
وقوله في ارتكاب الجرائم الموبقات السود قد أطلق اليهود العنانا

وغيرها من الأبيات التي ورد فيها الاتباع في الديوان .

- التلاوة : وهي مراعاة مخارج الحروف بالترتيل والتجويد[xii]

من ذلك قول الشاعر :

من لي بأحرف مارج من نار فأخط من شواظها أشعاري
وأصوغ من لهب الحماس قذائفا ترمي العدى بسواعد الثوا .

لنحرر القدس الشريف وما حواه المسجد الأقصى من الأسرار[iii] .

فنجد أنّ الشاعر قد كان يراعي مخارج الحروف في الأداء الصوتي للكلمات :

مارج ،نار ،ولهب ،وقذائف ،والعدى ،والثوار ،و غيرها من الكلمات في الديوان

- الجرس الموسيقي وهو في الاصطلاح إجمال الخطاب الإلهي الوارد على القلب بضرب من القهر ،ولذلك شبّه النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بصلصلة ا لجرس ،وبسلسلة على صفوان ،وقال أنه أشدّ الوحي فإن كشف تفصيل الأحكام من بطائن غموض الإجمال في غاية الصعوبة .[xiv]

والجرس هو الظاهرة الصوتية التي تميز بين الأصوات الموسيقية بعضها عن بعض ،وركّز النحويون على ثلاثة أجراس رئيسة من الحركات الطويلة أي (ا ، ي ، و) والمراد بهذه الحركات الفتحة الطويلة ،والكسرة الطويلة ،والضمة الطويلة[v]

وقد ورد ذلك عند الشاعر في مواضع كثيرة من ذلك قوله :

قسما بعاصفة الجهاد الأقدس وبفتحه وذرى جبال الأطلس

لنحطمنّ عصابـــة النازيـــن والباغيين ،من عاثوا ببيت المقدس[xvi]

فنجد أنّ الشاعر قد استطاع تحقيق الجرس الموسيقي العذب وخاصة في اختياره لحرف السين مثل الأقدس ،والأطلس ، والمقدس وكذلك في بقية الأبيات من القصيدة في حديثه عن عاصفة الفتح المبين فنجد في الأبيات الموالية الجرس الموسيقي في الكلمات : الأنحس، والأكيس، وأيبس، ومبلس، ومؤنس، والأهوس، ووالمفلس، ومدلس، وأشوس وأدنس، والأشرس ... والقصيدة تقع في ثلاثين بيت .

أ – الإيقاع والمقصود به حركة النغم الصادر عن تأليف الكلام المنثور والمنظوم ،والناتج عن تجاوز أصوات الحروف في اللفظة الواحدة ،وعن نسق تزاوج الكلمات فيما بينها ،وعن انتظام ذلك كله شعرا في سياق الأوزان والقوافي .[vii]

وينقسم الإيقاع إلى قسمين هما :

- الإيقاع الخارجي والمراد به الوزن والقافية في القصيدة الشعرية ،وهذا مايعرف بعلم العروض .

ب - الإيقاع الداخلي والمقصود به إحساسات الشاعر بالحروف، والكلمات، والعبارة إحساسا خاصا بحيث تجيء في النص، أو أجزاء منه متسقة أو متجاوبة، وبمعنى آخر الإحساس بجماليات اللّغة ، وقيمتها الصوتية، والتركيبية .[xviii]

ويتكون الإيقاع الداخلي من العناصر الآتية :

التكرار ،والجرس ،والسجع ،والموازنة ،والمقاطع الصوتية ،والكمية ،والنّبر ،والتنغيم ، والمماثلة ،والمخالفة ،والتّضا .

أمّا عن الموسيقى الخاجية فقد التزم الشاعر أبو الحسن علي بن صالح في ديوانه

مآسي وأين الآسي) بعدة بحور خليلية في قصائده من ذلك اختياره لبحر الطويل : وتفعيلاته فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعلن

كقوله : سأمضي وتبقى صورتي في الدفاتر خيالا توارى في ضمير الجزائر .[ix]

وبحر المجتث وتفعيلاته :

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

في قوله :

إنّما الدنيا وإن ما ست فأرتنا مآسي .[xx]

وبحر البسيط وتفعيلاته :

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

في قوله :

أرى الجزبرة عقدا غاليا قطعت أطرافه ،وعتت في الحكم أشراف .[xxi]

وبحر الخفيف ،وتفعيلاته هي :

فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

كقوله :

لايسير الزمان حسب هوانا تارة عزّة وطورا هوانا[xii]

وبحر الرمل ،وتفعيلاته :

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

كقوله :

ياارجال الأحباش موتوا كراما دون صون الحريم والأوطان .[xiii]

وبحر المقتضب وتفعيلاته :

مفعولات مستفعلن مفعولات مستفعلن

كقول الشاعر :

ليبيا الشقيقة مرحبا شعب المفاخر والإبـــــــــــــ[xiv]

وبحر الرجز ،وأجزاؤه :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

كقوله :

مالي وللنجم أرعاه ويرعاني وقد جفا النوم عبر الليل أجفاني[xv]

وأمّا ما يتعلّق بالقافية فإنّها عبارة عن الساكنين اللّذين في آخر البيت مع مابينهما من الحروف المتحركة ،ومع التحرك الذي قبل الساكن الأوّل [xvi]

وللقافية حروف مخصوصة بها ،وحركات ،وأنواع فحروفها ستّة وهي :

الرّوي ،والوصل ،والخروج ،والرّدف ،والــتّأسيس ،والدّخيل ،وقد جمعها صفي الدين الحلي ت50 هـ) في قول :

مجرى القوافي في حروف ستة كالشّمس تجري في علوّ بروجهـــــــا

تأسيسيها ،ودخيلها مع ردفها وروّيها ،مع وصلها ،وخروجها[xvii]

وقد تنوع حرف الروي عند الشاعر في ديوانه من ذلك احتياره لحرف السين رويا كقوله :

إنّما الدّنيا وإن مـــــــــا ست فأغرتنـــــــــــا مآسي

لم نجد في صيدليـــــــــا ت الدّوا مرهم آســـــــــي

أين آس عبقـــــــــريّ بارع يمحو المآســـــــــي ؟

صدمتنا رغم تنقيـــــــــ ب جرى صخـــــــــرة ياس

لاأرى دنيـــــــــاك إلاّ لذوي بطش وبـــــــــاس
تخذو القوة درعـــــــا وارتدوهـــــــاكلبـــــاس[xxviii]

ويعد صوت السين من بين الأصوات الطويلة لطبيعته الصفيرية ،في رأي إبراهيم أنيس حين قال : السين العربية عالية الصفير إذا قيست بها السين في بعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية مثلا " [xix] وصوت السين هوالذي يغلب على قصيدة الشاعر في مقدمة الديوان والتي تشمل عشرين بيتا ،وهذا الصوت هو صوت رخو وهموس مرقق يضفي على القصيدة كلها إيقاعا مهموسا يتلائم مع الحالة النفسية في نظمه للقصيدة ،ويبدو أنّ الشاعر قد تأثر بسينية البحتري التي مطلعها :

صنت نفسي عما يدنّس نفسي وترفّعت عن جدا كلّ جبسٍ . واختارالشاعر حرف الفاء رويا كما في قوله :

أرى الجزيرة عقدا قطعت أطرافه ،وعتت في الحكم أشراف .[xx]

وحرف الفاء من الحروف المهموسة أيضا للدلالة على حالته النفسية

واختار الشاعر حروف روي أخرى في القصيدة مثل الباء كقوله :

يا أبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لاتخاف النوائب .

وحرف الباء من الحروف العربية المجهورة وهي تؤدي غرضا واضحا يرمي إليه الشاعر وذلك بغرض تصويره الفاجع .

ثم التزم بحرف مجهور آخر وهو النون كقوله :

نبّـــــآني إن كنتما تعلمان ما دهى الحبش أيها النيران

والدال وهو حرف مجهور كقوله :

رمنا زيارة سيدي فرج لذكرى تستعـــــــــا .

والقاف وهو حرف مهموس كقوله :

نزل اليوم في حمانا العراق بعد أن بنا الأشواق .

والميم وهو حرف مجهور كقوله :

هلال ذي الحجة الميمون مبتسم بالأفق مرتسم بالبشر متّسـ .

وقوله :

أجرى الإله بحكمه الأقلامـــــــا فرمى بسهم قضائه الأصنامـــــــــا

والراء وهو حرف مجهور كقوله :

على المسجد الأقصى اعتدى اليوم فاجر وأضرم فيه النار باغ وماكر

كلّ ذلك لتصوير حالته النفسية ،والتعبير عن مشاعره ،فاختار الشاعر لكل موقف،وحال،ومناسبة ،حرف روي مناسب للمقام .

أما الإيقاع الداخلي فهومتوفر بكثرة عند الشاعر تبعا لمناسبة القصيدة ،ومقامها ،والحالة الشعورية في نظمه للقصيدة ، وذلك باعتبار أنّ هذا الضرب من الإيقاع يشمل وحدة النغم التي يكون مصدرها اهتمام الشاعر باختيار ،الألفاظ المناسبة ،والخاصة التي تعبر عن عواطفه . وانفعالاته ،ومع تكرار كلمات ،وأصوات داخل التركيب،ويشكل هذا النوع من الإيقاع بنية النص الداخلية

من ذلك تصويره لدلالة الحزن والألم كقول : مقتحما ، قطعت ، ومعارك ، والأهوال ، والدمع ، والقلب ، وقتلوا ، ونعاج ، وخرفان .... وكذلك في قصيدة ابك مثل النّســـا " التي نظمها سنة 932. مـــ وهو يصف سقوط قصر الحمراء ،وكذلك في قصيدة وعد بلفور المشؤوم التي نظمها سنة 938 مـ ، نلمس الحزن والأسى أيضا في قصيدة الاحتلال نزول الإفرنج بسيدي

فرج) التي نظمها سنة 959. مـــ مثل الكلمات الاضطهاد ، والحداد ، والرهيب ، والغزو، والهوان ، وكابوس ، ولوعة .... وكذلك في قصيدة نكسة يونيو التي نظمها سنة 967. مـــ ، وغيرها من القصائد ،وكذلك الإيقاع الجميل المناسب للحالة النفسية للشاعر في قصيدة مأساة وأين الأساة) وهي تتكون من خمس وعشرين بيتا ومنها قوله :

مالي وللنجم أرعاه ويرعـــــاني وقد جفا النوم عبر الليل أجفاني؟

فأيّ داهية حلت بساحتنـــــــا وأيّ سهم رمى قلبي فأضناني ؟

فنلاحظ جمال الإيقاع في يرعاني ،وأجفاني ،وأضناني كلّ ذلك للدلالة على حالته النفسية الحزينة البائسة على ما ألمّ بالأمّـــــــة العربية من ويلات وهموم ،وحروب .

ومن دلالات الإيقاع نجد أيضا الحزن والأسى والدموع على نكبة الزلزال بالأصنام حيث عبّر بدموعه على كارثة الأصنـــــــام بالزلزال الذي أصيبت به يوم الجمعة غرّة ذي الحجة الحرام 400 هـــ الموافق للعاشر من أكتوبر 980. مـــ فسجل قصيدة طويلة منها قوله :

أجرى الإله بكمه الأقلامـــــــا فرمى بسهم قضائه الأصنامـــــــا

بلد عزيزفي الجزائـــــر ليتـــــه ما كان يدعى بيننا أصنـــــــاه .

فلربّ تسمية تواكب متعـــــة ولربّ أخرى واكبت آلامـــــــا

ماكان من طبعي التشاؤم ،إنّما أهوى من الأسماء ما يتسامـــــــي .

فنلاحظ الإيقاع لدى الشاعر يحمل دلالة الحزن الشديد ، والألم المرير ، على ما ألم بولاية الشلف حاليا ، الأصنام سابقا من ذلك : الأقلاما ،أصناما ،آلاما ،تشاؤم ... وغيرها من القصائد التي وظف فيها الشاعرالإيقاع وفق الدلالة المناسبة التي تصور أحاسيسه بكلّ صدق ، وأصالة .

ز – المقاطع الصوتية :

كلمة مقطع " في اللغة من القطع ،وهو إبانة بعض أجزاء الشيءمن بعض .

أمّا في الاصطلاح فهو أقرب إلى قول العرب مقطّعات الكلام، أي أجزاؤه التي يتحلّل إليها، ويتركّب عنها، ويقسم بعضهم المقاطع إلى خفيفة ،وثقيلة، فالخفيف مركّب من صامت ومصوّت، والثقيل من صامتين ومصوّت وتفطن العلماء إلى أنّ الأصوات في السلسلة الكلامية تتابع شكل مجموعات متتالية يمكن تمييز أصوات كل مجموعة عن الأخرى، وقد تتألّف الكلمة من مجموعة واحدة أو أكثر ،وقد تتداخل تلك المجموعات بين كلمتين في الكلام المتّصل، وأطلقوا على كلّ مجموعة منها اسم المقطـــــــع [xxxi]

وعرّف بعض العلماء المقطع بأنّه وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت ،،وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعا بصائت، أو تنتهي السلسلة المنطوقة قبل مجيء القيد [xxxii]

وفي العربية ستة أضرب من المقاطع وهي :

- ع ص وهو قصير مقفل ومثاله أداة التعريف .
- ص ع وهو قصير مفتوح ومثاله باء الجر المكسورة .
- ص ع ص وهو متوسط مقفل ومثاله : لم .
- ص ع ع وهو متوسط مفتوح ومثاله مـــــا
- ص ع ع ص وهو متوسط مقفل ومثاله باب بالسكون .

- ص ع ص ص وهو طويل مزدوج الإقفال ومثاله عند بالسكون .[xxiii]

وقد وفق الشاعر في استغلال المقاطع الصوتية الطويلة المناسبة في قصيدة اليهود يحرقون المسجد الأقصى ص83 من الديوان حيث قال :

على المسجد الأقصى اعتدى اليوم فاجر وأضرم فيه النار باغ وماكر .
حريق ويا للهـــــول شبّ أوارُه فخرت على جمر الغضاة المنابر
تداعت له الأركان والسقف قد هوى فشقت لهول الاعتداء المـــرائر .
حريق أباد اليوم وجـــه حضارة يبـــــاهي بها تاريخنا ويفاخـــــر
فيا لك من حسناء راحت ضحية على شِلوها قامت تنوح المنـــائر .
على مسمع الدنيا ومرأى شعوبها استباح حمى الاسلام والسلم فاجر .

نلاحظ أنّ الشاعر في هذه المقطوعة من القصيدة التي تشمل على ثمانية وثلاثين بيتا قد غلبت عليها المقاطع الصوتية الطويلة المناسبة لمقام الحزن ، والألم مثل فاجر ،وباغ ، وماكر ، الغضاة ،والاعتداء ،تداعت ...

وقد وظّف الشاعر ألوانا أخرى من المقاطع الصوتية مثل المقاطع القصيرة المقفلة كأدوات التعريف وهي كثيرة للدلالة على التعريف، والمقاطع القصيرة المفتوحة كحروف الجر للدلاة على معاني متنوعة حسب السياق ،والمقاطع المتوسطة المقفلة والمتمثلة في حرف الجزم في الديوان، والمقاطع المتوسطة المفتوحة للدلالة على الاستفهام، والمقاطع المتوسطة المقفلة وهي المنتهية بالسكون، وفي الأخير المقاطع الطويلة المزدوجة الإقفال وهي كثيرة في الديوان والنتيجة أنّ الشاعر لم يوظف مقطعا صوتيا إلاّ للدلالة على أحاسيس صادقة ، ودلالة تخصّـــــه هو سواء تعلق الأمر بسقوط الأندلس ، أووعد بلفور الشؤوم ، أو احتلال فرنسا للجزائر ونزولها بسيدي فرج ، أو نكسة يونيو ، أو بداية رمضان والقدس يهان ، أو كيف يسعد عيد ؟ ، أو نريد سلاما لا استسلاما ، أو في مكة تلبية ، وفي القدس بليّـــــة، أو العام الجديد ،والقدس مكبّل بالحديد ، أو اليهود يحرقون المسجد الأقصى ، أو نكبة الزلزال بالأصنام ، أو صبرة وشتيلا وذكرى مذبحة دير ياسين ، أو الاعتداء الإرهابي النازي على ليبيا سنة 986 مـ .

- الممثالـــــــة الصوتية المضارعة الممثالة الجزئية الإدغام المماثلة الكلية) إنّ الأصوات تتأثر بعضها ببعض عند تجاورها في السلسلة الكلامية ،ومعظمها ينضوي تحت موضوع المماثلة ،وهي أن ينحو صوتان متجاوران أو أكثر نحو التماثل في المخرج أو الصفات [xxxiv]

وقد عرفها أحدهم بأنّها التعديلات التكيفية للصوت حين يجاور أصواتـــا أخرى

وهي على ثلاثة أنواع :

- التامثل التقدمـــــي .
ر – التماثل الرجعي .
- التماثل المزدوج .[xxxv]

ومن أمثلة المماثلة ، والإدغام في ديوان الشاعر قوله :

يا أبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لا تخاف النوائب
قد عهدناك بين أهلك لاعب أم رأيت الزمان الملك ذاهب
فجرى الدمع نادب الآمـــــال .

فنجد المماثلة أو التماثل في الكلمات نادب الأولى، ولاعب، ثم ذاهب، ونادب الثانية، وغيرها من مواضع المماثلة مثل مزّقوا ، وأحرقو ، التيجانا، والسلطان ، هوانا وهوا ، علاكا ،حماكا ، هواكا جفاكا ، العماد والقصا ، حداد ، وتعدا ، دهرا، فخر ، بدرا وشزرا ، صراع ، وامتناع ، تباهت، أضاءت ، سادت ، تداعت ، العالي ، والمعالي ، خبايا ، وزوايا ، السرايا ، والضحايا) الملاهي ، والمناهي) وغيرها كثير من المماثلةفي أبيات القصائد من الديوان .

- النّبـــــــــــ :

النبر بالكلام الهمز ، ونبر الحرف همزه ، وهو عند العرب ارتفاع الصوت، أو هو علوّ في كلمة ، إلاّأنّ الباحثين يربطون بين النبر والمقطع الصوتي [xxxvi]

ومن المقاطع التي وقع فيها النبر نجد ها في قول الشاعر :

بخامس منك يونيو انقضّ في حنق على العروبة أرجاس ملاعين

يايوم غطت سماء العرب أجنحة التدمير أطلقها موشي و غوريونو

نار النّبالم في أجساد أخوتنا تذيبها ،أين اسعاف وتأمين ؟

سيناء قد داسها أشكول في صلف واختال فيها قرير العين قارون [xxvii] .

فمن خلال هذه المقطوعة نجد مواضع النبر في الكلمات الآتي : انقضّ،وحنق ، وأرجاس ، وغطّت ، والنّبالم ، وسيناء ، وقرير .

وغيرها من مواضع النّبر في الديوان .

- التنغيـــــــــ :

يطلق على نظام توالي درجات الصوت مصطلح التنغيم ، أو موسيقى الكلام ، وترتبط به مجموعة مفاهيم مثل النغمة ، واللّحـــن ، والإيقاع ، وهي مصطلحات ذات دلالات فنية في مجال الموسيقى ، والغناء ، إلاّ أنّ المستخدم في هذا المقام للدلالات المتفق عليها لدى علماء الأصوات اللغويـــة .

ويعرّف التنغيم بأنه ارتفاع الصوت ، وانخفاضه في أثناء الكلا . وهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية، أو الإيقاعات في حدث كلامي معيّن [xxxviii]

وأشهر أنواع النغمات ثلاث هي :

- النغمة الصاعد : و تعني وجود درجة منخفضة في مقطع ، أو أكثر تليها درجة أكثر علوا منها .

- النغمة الهابطة : وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضا .

- النغمة المستوية : وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة ، وقد تكون هذه الدرجات قليلة ، أو متوسطة ، أو كثير .[xxxix]

وقد عثرت في الديوان على تنغيمات عديدة لها وظائف دلالية معينة من ذلك قول الشاعر :

طهّروا العوالي صن حماك صن حماك فإنّما بهمّتك القعسا يصان المخيم .

تيقظ ،ولا تأمن خؤونا مراوغـــــــــا فمن أمن الخوّان لا شك يندم

تدرّب على صنع السلاح وحملـــــــه فما ذلّ شعب بالتّسلح مغرم
على صهوات الجوّ حلّــق مقنبـــــــلا وباغت وبادر ،فالمبادر أحـــزم[xl]

فنجد في المقطوعة النغمة الصّاعدة التي تناسب مقام الحث على تطهير فلسطين من الاحتلال الإسرائيلي فخاطب الشاعر الشباب بهذه النغمة مستعملا الأساليب الإنشائية المتمثلة في الأوامر كقوا : صُن،وتيقّظ،وتدرّب ، وحلّق ،وباغت ،وبادر، واستعمل النهي في قوله " لاتأمر ". وغيرها من مواضع التنغيم في ديوان الشاعر .

0 - التّرصـــيع : وهو أن تتوخى تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع وتشبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ، والترصيع في الشعر كالسجع في النثر ، وهو من حيث الوزن والروي ثلاثة أقسام : المتوازي ،والمطرف ، والمتوازن .[li]

فمن مواضع التصريع في الديوان أذكر قول الشاعر :

يأبا عبد الله مالك نادب قد عهدناك لا تخاف النوائب
قد عهدناك بين أهلك لاعب أم رأيت الزمان والملك ذاهب[xlii]

فنجد الترصيع في البيت الأول بين نادب ،والنوائب ، وفي البيت الثاني بين لاعب ، وذاهب .

و في قوله :

هكذا الدهر يسقط التيجانا ويذل الأمير والسلطانا
لايسير الزمان حسب هوانا تارة عزّة وطورا هوانا

نلاحظ الترصيع بين التيجانا ،والسلطانا ؛ وبين هوانا ،وهوا ؛)

وعثرت على التصريع في أبيات أخرى من الديوان مثل مضاعا ،والقلاعا)

، علاكا ، وحماكا ،، هواكا ، وجفال ، نائي ، والآباء) حداد ، والتعداد ، ، دهرا وفخرا ، بدرا ،شزرا ، الدفاع ، وداع تباهت، أضاءت) العالي، المعالي) الخوالي، المنال ، خبايا، الزوا السرايا، الضحايا ، الملاهي، والمناهي) دواهي، وأوا . وغيرها كثير في الديوان .

الخاتمـــة

بعد هذا العرض لأهم الظواهر الصّوتية الواردة في مدوّنة الشاعر أبي الحسن علي بن صالح الجزائري وتتبع الدلالات المختلفة لهذه الظواهر يمكن أن اخلص إلى النتائج الآتية :

- أغلب الأصوات التي في الديوان مجهورة،انفجارية ، و تكمن دلالتها حسب الحالة النفسية للشاعر ،والمناسبة التي قيلت فيها القصيدة ،أو ما يعرف بالحال ،وأغلبها تدل على على المشاعر الحزينة ،والممزّقة ،والهجوم على الظلم ،والاحتلال ،ومواساة المنكوبين ،والتعاطف مع االبائسين ،المضطهدين .

- ألفاظه كان يحسن اختيارها ،ويضعها في المكان المناسب للدلالة على الموقف الملائم للمشاعر الصادقة الأصيلة ،وبالتالي جاءت الألفاظ خادمة للمعاني ، وعنوان لها .

- إذا كان الصوت عام ادى العلماء ، فإنّ الإيقاع خاص بالقضايا الصوتية ، وهذا ماعثرت عليه لدى الشاعر إذ أنّ الإيقاع عنده يحمل دلالات تناسب مشاعر أبي الحسن علي بن صالح .

- القارئ لديوان الشاعر قراءة صوتية دلالية يجد دلالات متنوعة ، من ذلك دلالة الحزن ، والشجن ، والألم وهي الدلالة الغالبة في المدوّنة ، وأيضا دلالة التحسر ، والشفقة ، والمواساة .

- الدلالة الصوتية عند الشاعر تبدأ من خلال أصغر وحدة صوتية ، بحيث إن تغيرت الحركة ، بالضرورة تغيّر المعنى ، وهذا مالمسته في ثنايا قصائد الشاعر .

- الأشكال التنغيمية في خطاب أبي الحسن علي أدت وظائف دلالية مناسبة لحالته الشعورية ، والانفعالي . وأنّ هذه الأشكال ، وكذا المسائل الصوتية برزت عنده ، وأدت دورا هاما في توجيه الدلالـــة وبالتالي تحقيق قيم دلالية نفيسة .

- مظاهر التوافق أو التوازي الصوتي ، والانسجام الصوتي ، والتوزيع الصوتي في شعر أبي الحسن علي بن صالح كلّ ذلك في اعتقادي أدّى دلالات تناسب أحاسيس الشاعر .

- الحس المرهف الذي يتمتع به الشاعر ، أدّى إلى به إلى إبراز مكنونات الأصوات اللغويـــــة ، و أنّ الدلالة الصوتية عنده تتماشى وفق السياق .

- حالات الحزن عنده في الإيقاع الداخلي فاختار المقاطع المناسبة ، وفي التنغيم للدلالة على الحالة الشعورية وقوة الانفعال لديه ، وكذا التناسق بين الصوت والسياق .

الهوامش والإحالات :

1. لسان العرب لابن منظور ،المجلد الثالث ص 399 ومابعدها ،دار الحديث القاهرة 423 هـ 2003 م
2. المصباح المنير للعلامة أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري ، ص 21 ،دار الحديث القاهرة 424 هـ 003 مـ
3. كشاف اصطلاحات الفنون ،للتهانوي ج 1 ،دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان الطبعة الثاني 427 هـ 006 مـ .
4. االتحليل اللغوي فضوء علم الدلالة ، / محمود عكاشة ص 4 ،دار النشر للجامعات مصر ،ط الأولى 426 هـ 005 مـ .
5. المصدر السابق ص 17 .
6. ينظر معجم أعلام الإباضية من ا لقرن الأول إلى القرن الخامس عشر ج 1 ،وديوان مآسي وأين الآسيف 7 .
7. ينظر : البيان والتبيين للجاحظ ،تحقيق عبد السلام هارون ،ط الخامسة ص 79 .
8. ينظر الأصوات اللغوية لإبراهيم أنيس ص 4 .
9. ديوان مآسي وأين الآسي ص 4 .
10. ينظر : اسرار العربية لابن الأنباري ص 204 .
11. ديوان مآسي واين الآسي؟قصيدة هلّ رمضان والقدس يهف ص 30 .
12. التعريفات للجرجاني ط 125 .
13. ديوان مآسي وأين الآسي. أ لنحرر القدس ص 15 116
14. التعريفات للجرجاني ص 78 .
15. المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية ص 34
16. ديوان مآسي وأين الآسي عاصفة فتنة ص 7 78 .

7. ينظ المعجم المفصل في اللغة والأدب ، ميشال عاصي
8. يراجع : الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي د 41 .
9. ديوان مآسي وأين الآسي ؟ ة خيالي د 5
20. الديوان ص 9
21. الديوان د 3. قصيدة مأساة سقوط غرناطة .
22. الديوان د 8. ة ابك مثل النسا)
23. الديوان ة يارجال الأحباش د 28 .
24. الديوان ة هل وحدة كبرى د 37 .
25. الديوان ة مأساة وأين الأساة د 01 .
26. ينظر المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي ،لموسى بن محمد الأحمدي نويوات ،د ،د 353 .
27. المصدر السابق د 354،355 .
28. الديوان د (،ومابعده .
29. الأصوات اللغوية ، إراهيم أنيس ،القاهر 961 ،ص 64
30. الديوان د 13
31. ينظر المدخل إلى علم أصوات العربية د 197 ،وما بعدها .
32. ينظر المصدر السابق د 201 .
33. ينظر مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان د 41. .
34. المدخل إلى علم أصوات العربية ، غانم قدوري الحمد ،منشورات المجمع العلمي بغداد 423 هـ 002 مـ 215
35. ينظر علم الصرف الصوتي ، عبد القادر عبد الجليل ،دار صفاء عمان ، 1431 هـ 010 مـ 146،147 .
36. اينظر المدخل إلى علم أصوات العربية صـ 249 .
37. الديوان ص 42 ة الاعتذار والغدر .
38. ينظر المدخل إلى علم أصوات العربية د 257
39. المصدر السابق د 258
40. الديوان ،ة طهّروا فلسطين د 74
41. ينظر البنية الصوتية ودلالتها في إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء رسالة ماجستير ،إعداد الطالب عبد القادر شارف ،جامعة وهـــران ، 001 ،ص 14. .
42. الديوان د 17